

كل الطرق تؤدي لـ ٦٠ داهية

مصطفى شهيب

كل الطرق تؤدي الي ٦٠ داهية

مصطفى شهيب

الطبعة الأولى ٢٠١٦

غلاف وإخراج داخلي: **وليد فكري**

فوتوغرافيا الغلاف: **أحمد الأبي**

رسوم داخلية: **مصطفى يوسف**

مراجعة لغوية: **حمدى فرج**



المدير العام: **هالة البشبيشي**

مدير النشر: **أحمد القرملاوي**

مدير المبيعات: **شريف الليثي**

رقم الايداع ٣٤٥٣/ ٢٠١٦

ISBN: 978-977-6549-13-5





إهداء

لكل الهزائم والانكسارات
والمنحنيات والمطبات
والطرق الوعرة ..
الحياة بكم أجمل

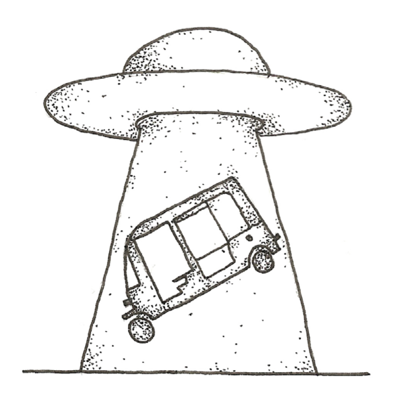
مصطفى



سكة السلامة


عصير
الكتب





عزيزي رئيس كوكب بلوتو

تحية طيبة وبعد..

أكتب لك يا سيدى بصفتى جاسوساً لكوكبنا العظيم بلوتو، ومندسًّا بكوكب الأرض لأنقل لكم تقريراً مفصلاً عنه بعد وجود نية لدى سعادتكم أن تحتلوه..

نصيحتى المبدئية يا سيدى أن تتخلى تماماً عن تلك الفكرة، فهو كوكب بائس، أعيش به الآن قرابة الخمسة أعوام وأندمج بين البشر دون أن يلاحظ أحدهم أننى غريب عنهم بشكلى وحجمى ولونى الأزرق الداكن.

فالناس هنا ملهية، كل منهم متقوقع داخل نفسه يفكر كيف سيمر عليه الغد قبل أن يخطط كيف سيمر عليه اليوم، وإذا قرروا أن يذيبوا الجليد بينهم ويندمجوا، ما إن يبدأ أحدهم فى طرح رأيه فى موضوع حتى يسمع رأى الآخرين فى والدته مباشرة ! .

كانت الناس هنا يا سيدى لفترة تسأل «لماذا خلق الله لنا أذنين وفماً



واحداً؟»، ولم يعرفوا الإجابة إلا عندما حاصرتهم برامج التوك شو وخرسوا خالص !.

الناس هنا يا سيدى تعيسة جداً، وقد بدأت مشكلة الإنسان منهم عندما اعتقد أن غيره أسعد منه، فحاول أن ينحشر بمشاكل الآخرين حتى تهون عليه بلوته، ولكنه رأى بالنهاية أن بلوته كبيرة برضه !

على هذا الكوكب يا سيدى لا يوجد أحد مرتاح، وإن ارتاح أحدهم خاف أن تزول تلك الراحة فيتعب ! .

على هذا الكوكب يسأل الناس عن بعضهم، ليتأكدوا أن هناك من هم أتعس منهم فيطمئنوا !

والإنسان هنا يا سيدى بطبعه غريب أصلاً، خلقت له ذاكرة ضعيفة لينسى فصنع الكاميرا والصور وكروت الميمورى، خلقت له الطبيعة وفضل أن يعيش بالمولات، خلق له لسان ليتكلم به مع الناس فتواصل معهم بأزرار الكيبورد، خلقت له مشاعر فحولها لأيقونات ايموشنز مستفزة، الناس هنا وحيدة جداً.. وحيدة لدرجة انهم بيتصورروا سيلفى !

الناس على هذا الكوكب يا سيدى لا يكفون عن الشكوى، الوحيد يشتكى الوحدة ويحسد المتزوج، والمتزوج يشتكى الزواج ويحسد الوحيد، والمتزوج العائل لأطفال يشتكى لله ويحسدهم جميعاً!

وعلاقات الناس ببعضها غريبة جداً يا سيدى، الناس هنا يحبون أشخاصاً لا يحبونهم، ومن يحبونهم يحبون أشخاصاً آخرين خالص لا يحبونهم برضه، والناس تهتم بمن يتجاهلهم، ومن يتجاهلهم مهتم بأشخاص يتجاهلونهم، فى وضع معقد ومتعب للأعصاب.

هنا فى حياة كل فرد ثلاثة أشخاص: شخص يحبه، وشخص أحبه، وشخص يتزوجه بالنهاية، ولا تحاول أن تفهم السبب !

هنا الحب ليس منحة إلهية يقتسم به المحبون متاعب الحياة، هنا الحب نفسه عبء على البشر، هنا يسألك الناس: بتحب.. طب معاك كام؟ .

على هذا الكوكب يتفاخر الناس بعدد من قتلوهم، وتتصدر مانشيتات جرائدهم بصفقات السلاح المتبادلة، فى نفس الوقت الذي يقيمون فيه مؤتمرين للسلام قبل الأكل وبعده !

هذا الكوكب يا سيدى يحكمه مجموعة من المختلين عقلياً، يدعمهم مرضى نفسيون، ويديره تجار الأمل فى علاج أفضل وسعادة أوفر وتذاكر متوافرة للجنة والنار.



البوسة

ف البوسة، وقت حدوث البوسة يعنى، الطرفين لما بيبتدوا يتأهبوا للحظة دى، كل واحد منهم بيتحرك وياخد فعل عشان البوسة تكمل، يقال إن الولد بما إنه أجرأ شوية بيتحرك ناحية البنت بزاوية ٧٠ درجة والبنت بتتحرك ناحيته بزاوية ٣٠ درجة وتكمل عملية البوسة.



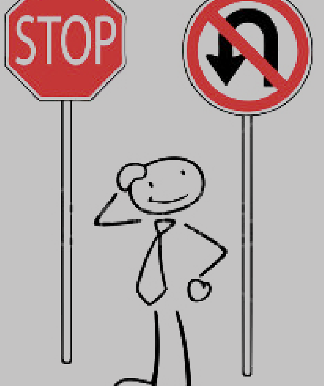
البوسة لازم تبقى ف مكان محايد، ف النص، أو أبعد من النص شوية، عمر البوسة ما تتحسب بوسة لو كانت من طرف واحد اتحرك ناحية الطرف التانى كل المسافه دى.

وهى دى باختصار العلاقات الإنسانية، أنا قربت، ووقفت مكانى عشان اسيبلك مساحة انت كمان تقرب، أنا مبعدتش، أنا قربت على أد ماقدر، قربت ووصلت للحد الأقصى م القرب، وهى دى فرصتك ومساحتك.. إنت اللى لازم تقرب..ماينفعش تفضل ف مكانك وانا ماينفعش اقرب أكتر من الحد المسموح ليا، لو قربت هتلاقينى موجود، ولو بعدت هزعل، يمكن مش هيبان عليَّ، يمكن مش هتشوفنى متأثر زى ما انت متخيل.. إحساسى بالذنب قليل عشان ده قرارك انت..

إنت اللى اخترت متكملش البوسة.

كوكتيل الرجل المتردد

بعد عِشرة العمر دى مع عمرو دياب، اكتشفت انه عاش طول عمره ضحية التردد، «احبك اكرهك»، «انا عايش ومش عايش»، «انا رايح فين.. انا راجع تانى»، واضطر عمرو دياب انه يدفع ثمن تردده بأنه يدخل ف حوارات وقصص وأغانى كانت ممكن تخلص فى كلمة واحدة.



يعنى «قالوا اختار بين جنة ونار».. لو كان قال نار كان خلاص الأغنية خلصت..

قمرين دول ولا عينين؟.. قمرين.. بس كده..

قالتلى قول حبتها ولا محبتهاش؟ – محبتهاش.. وخلاص.

يدق الباب اقول هى.. أبص من العين السحرية.. اكتشف انه بتاع الدليفرى أقعد آكل وانا ساكت.





ما فعلته حواء بآدم

منذ حبة كتير كده، كان هناك رجل وحيد، استيقظ من نومه فوجد امرأة تنام بجانبه، فرك عينيه مرة أخرى لعله مازال فى الحلم ظن أنها وهم.. ولكن المفاجأة أنها كانت لحم ودم مثله تماماً، لحظتها انبسط آدم وتشقلب من الفرحة بالضيفة الجديدة التى ستملا عليه الدنيا.. حرفياً!

صحيح لم يكن آدم قبلها حزيناً أو مكتئباً، ولكنه أيضاً للحق لم يكن سعيداً، ميزة آدم أنه متأقلم دائماً مع الأوضاع والظروف، ولكن تلك المرة كان الفضول سيقتله لمعرفة ذلك الكائن الغامض الذى فرضه القدر عليه ليشاركه الحياة بالعافية.

كان آدم صادماً.. اللى فى قلبه على لسانه، ف تعامل مع حواء بكل صراحة وقحة، فلم تكن هناك مجلدات «كيف تخبر المرأة فى تلاتين خطوة ان طلعالها حباية دون أن تجرح مشاعرها؟»، وتعاملت هى معه بكل وضوح



حتى فى أدق تفاصيلهما دون أن تلجأ لمهاتفة هبة قطب على التليفزيون وهو بيجيب زبادى وفينو من تحت.

كانت حواء طبيعية، مباشرة، آراؤها هى آراؤها، لم تكن لديها صديقة أنتيم لتأخذ رأيها فى لون الشريطة اللى هتغلف بيها الهدية اللى ناوية تجيبها لآدم فى عيد ميلاده كمان ٩ شهور، ولم تكن لديها صديقة تسألها كل اربع دقائق «تفتكرى فعلاً لو تقلت عليه هيترمى عليّا ولا هينفضلى خالص؟!»، ولم يكن لديها منتدى فتكات تشتكى فيه وتفضفض عن حماتها اللى بتطب عليها فجأة وسلفتها اللى حاشرة مناخيرها فى حياتها.

استمرت قصة حبهما دون أن تأخذ حواء سكرين شوت لرسائل آدم لتتاجر بها على مواقع التواصل الاجتماعى لتحصد اللايكات، ولم يكن معها موبايل تصطاد آدم كل ربع ساعة لتصرخ فيه «كنت ويتنج مع مين؟ وليه سيين على الواتس اب ومردتش» !

كانت حواء ذات عزة نفس، فلم تقتنع أن الجرى وراء الرجالة هو نوع من الرياضة، ولم تُرِد أن تعزز نفسها أكثر وأخبرت آدم ان متقدملها ظابط ومحاسب فى السعودية.. بس هى النفس مش أكتر، ولا أرادت له أن يلحق العرض فأخبرته أن ابن عمتها متكلم عليها ومش عارفه تعمل ايه!، أى نعم

كان مفيش غيرها أدام آدم وكانت واثقة انه هيلف يلف ويرجعلها.. بس يحسبلها ده برضه !

وعندما أعلنا ارتباطهما، لم يكن لدى حواء أصدقاء شباب على الفيسبوك ترزعهم البلوك على خوانة لأنها اتخطبت!، ولم تلتقط صورة وهى توجه بوكساً بقبضة يدها ويد آدم فى وجه كل من تعرفهم رمزاً لانتصارها فى معركة كسبتها أخيراً، ولم تلتقط صورة أخرى وهى تخرج لسانها لكل صديقاتها وهى تشير للدبلة لتغيظ كل أعدائها، ولم تضع كلمة «خطيبي» سبع مرات فى جملة مالهاش أى تلاتين لزمة وهى تتحدث مع صديقتها السنجل، ولم تضع صورة خطيبها بروفيل بيكتشر ليظهر لك اسمها الأنثوى الرقيق مع صورة شاب ضخم بشنب فى مشهد يخيفك بقية حياتك، والأهم.. الأهم من ذلك كله انها لم تكتب يومياً «يا جماعة اللى مركز معايا يسيبنى فى حالى» وهى مقتنعة ان خطيبها اللى شبه البروكلى مثار حسد جميع بنات الأرض !.

كانت حواء متصالحة مع نفسها، أحبت حواء شكلها ولم تتعامل مع وجهها كتورتة فواكه، وأحبت جسدها ولم تخجل أبداً عندما ترهل ولم تعمل ١٥ نظام دايت فى الأسبوع وتضعف بعد نص ساعة، وعندما قلت نضارة بشرتها تدريجياً بفعل الطبيعة والزمن لم تلجأ للبوتكس ووصفات أمينة



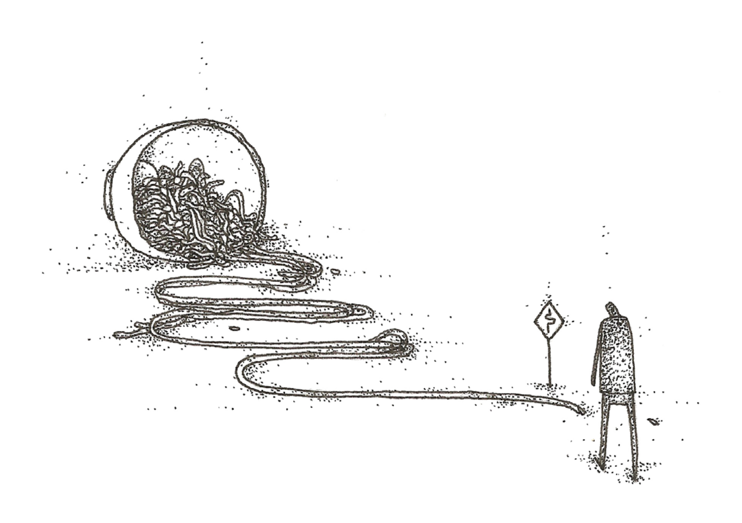
شلباية اللى هترجعها ١٥ سنة ورا (كانت رجعت هىَّ)، كانت حواء عارية ومعترفة إنها عارية، ولم تقاوح إنها لابسة وهى تقريباً مش لابسة! ولم تكن تستهلك من وقتها أربع ساعات لتعرف هتلبس إيه وهى نازلة ولا ساعات أخرى لتندب حظها إن معندهاش حاجة تخرج بيها ودولابها يكفى لإقامة معرضين لملابس «رسالة» المستعملة.

ولكن كل تلك المثالية جعلت حياتها مملة، سخيفة، ليس بها أى سسبنس أو أكشن أو دراما، لذلك استيقظت حواء ذات صباح ومالت على أذن آدم وهمست له: بقولك إيه.. ماتيجى ناكل من الشجرة!

لحظة الاعتراف

اللحظة اللى بتقرر فيها انك تقول لحد انه بقى جزء من حياتك، إن كل تفصيلة ف حياته بقت حاجة مهمة ليك، انه بإيده يخلى مزاجك حلو أوى أو سيئ جدًّا من غير ما يقصد، ان كل كلمه عابرة أو فعل تافه بيعمله ممكن يغير يومك كله، انك بقيت تشوف الحياة بعنيه هو أكتر ما انت نفسك شايفها، انك اكتشفت انك بقيت تقول نفس اللزمات اللى بيقولها وسط الكلام وبقيت تقلد حركاته وطريقة كلامه تلقائيًّا من غير ما تقصد..

فى اللحظة دى قدامك حل من اتنين: أولهم انك تقول ده، تصارح، تحدف نفسك فى ملعبه وتستنى قراره، تستنى تقييمه لواحد جاى يستنجد بيه ويقوله انه محتاجه ف حياته، وما مدى غروره اللى هينقح عليه ساعتها.. ونظرته اللى هتختلف ليك تمامًا بعد ما حس ان هو موجود على سلمة أعلى من السلمة اللى انت واقف عليها بالنسبة له.. فكرة انه بقى أكتر من صديق وانت لسه زى ما انت ف مكانك ف حد ذاتها فرصة عظيمة لانتفاخ الأناوالغرور!، هو هيحتار.. لو عايزك هاتقل فى نظره ولو رافضك هايستخسر .. وفي الحالتين مش هيقولك.. مقاومة اللذة والاستمتاع ان حد محتاجلك مش أى حد يقدر يقاومها.. فميبقاش عايزك لنفسه ونفس الوقت مش عايزك لغيره، فلا يرفض مشاعرك ولا يقبلها، الحل التانى تخرس خالص.. وتشيل السر جواك لحد ما تحس ان الطرف التانى على نفس تراك المشاعر معاك.. ولو مبقاش، اكتم السر للأبد ومتغيرش صورتك ف عنيه، الاعتراف ورطة.. ورصاصة لما بتطلع وما بترجعش !



السعداء لا يأكلون الأندومى

قالت لى صديقتى وهى تشفط آخر شفطة من عصير المانجو: «دى تالت كوباية مانجا بعد تشيز كيك بالتوت وحفلة لعمر خيرت وفيلم رومانسى فى السينما ولسه مش مبسوطة.. كل حاجة كانت بتبسطنى فقدت قدرتها على الإبساط.. تفتكر ليه؟».

فقلت لها: يا عزيزتى إن كل ما نفعله هى محاولات للسعادة الوقتية التى تنتهى بانتهاء الحدث أو بعده بقليل على أحسن تقدير. رفعت حاجبيها ثم نظرت لى بخبث ولم تبدأ النطق حتى قاطعتها: أعرف السؤال القادم.. ستسألييننى: هل هناك سعداء فى هذه الدنيا؟ وأخبرك أنه لا يوجد أحد مرتاح بطبيعة الحال ولكن ثمة بشراً استطاعوا أن يخلقوا الحد الأدنى من السعادة لأنفسهم، وعاشوا سعداء!



السعداء هم الذين لا يشتكون من الدنيا وأحوالها كلما سألهم أحد عن أخبارهم، فهم يدركون أن «عامل إيه» و«ازيك» و«إيه الأخبار»، هى أسئلة للتحية فقط وليست أسئلة بجد تنتهى بعلامة استفهام وتنتظر إجابة طويلة عريضة عن القرف الذى يعانيه، لأنهم يدركون أن من يسألونهم يعانون من نفس القرف وربما أكثر!

السعداء هم الذين قبلوا بالحياة «باكدج» واحدة على بعضها بكل ما فيها، فطالما نظروا دائماً للجانب الرائع بحياتهم، فلم يضخموا الخسائر دائماً على حساب الأرباح، فشعروا بالرضا ورضيت أنفسهم عنهم.

السعداء هم الذين استطاعوا أن ينجحوا بقوة فى اختزال الكراهيه لأقصى مساحة بقلوبهم، ووقفوا مع من يحتاجهم من قبل أن يطلب، وساعدوا من طلب دون أن يمضوه ويبصموه على ورقة إنه هيتمر فيه.

السعداء هم من أدركوا عيوب أصدقائهم وتعايشوا معها، كما تعايش أصدقاؤهم مع عيوبهم، وهم الذين يصارحون الناس بكل ما يضايقهم أولاً بأول ولا يسمحون للزعل أن يتكوم، ولا لقلوبهم أن تتعبأ بالتوافه، الذين يمتلكون من الصفاء ما يسمح لك أن تعاتبهم دون حساسية، ويمتلكون من البساطة ما يكفى لعدم تبريرك لهم بأنك بتهزر كل ما تيجى تهزر.

السعداء من أدركوا أن الأصعب من انتظار حبيب يعود هو انتظار الدور فى عيادات الدكاترة، وأن دهس من لا يستحقون لمشاعرهم أخف ألماً من دهس أرجلهم للعبة أطفال بالخطأ، وأنه ليس هناك قرارات صحيحة وقرارات خاطئة.. بل هناك قرارات صحيحة وقرارات نتعلم منها..

السعداء ليست لديهم تلك الحساسية المفرطة تجاه صحتهم، فلا يأكلون الإندومى ليلا فى طبق حزين، السعداء من يتعشون طبيخ وسمك وبسبوسة بالقشطة دون الاكتراث بفوبيا الحموضة، السعداء هم الذين مازال لديهم القدرة ليتأثروا بمصطفى حسنى ويبكون لحال تامر حسنى وهو يودع حبيبته فى أغانيه، ولا يقارنون جديد عمرو دياب الفنى بماضيه ولا يسألون دوماً: هو منير فين من اللى بيحصل فى البلد؟

السعداء السفر بالنسبة لهم مشوار، والرياضة رفاهية، وزيارة مطاعمهم المفضلة طقس دورى، والنوم يزورهم فى السوبر جيت والقطارات وسراير الأغراب..

السعداء لا يخلو كلامهم من إفيهات الأفلام، يشاهدون باستمرار «العيال كبرت» و«مدرسة المشاغبين» و«المتزوجون» و«سك على بناتك» و«ريا



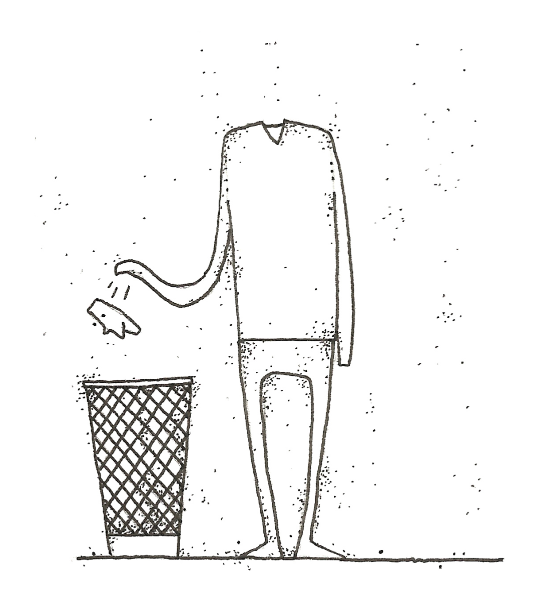
وسكينة» و«الواد سيد الشغال».. ويضحكون بنفس شغف وحماس وصفاء الضحكة الأولى، يرقصون دون مقاومة على الأغانى الشعبية دون التسفيه منها، ويرتدون الملابس المريحة أكثر من كونها شيك، ويختارون منها ما يليق بهم وليس لكونه ماركة.

السعداء احتجبوا عن الكلام فى السياسة، ولا يشاهدون برامج التوك شو، وقاطعوا الجرائد، واحتفظوا برأيهم فى القضايا المثيرة، اختاروا ألا يكون لديهم وجهة نظر.. وذلك فى حد ذاته وجهة نظر!

الثمن[13]

إحنا بندفع تمن كل حاجة، بندفع تمن الكلام الحلو اللى بنقوله، والكلام الحلو اللى بنسمعه، كل حاجة حلوة حصلت لنا دفعنا تمنها تعب، ودفعنا تمنها خوف انها متروحش من بعد ما جت، ودفعنا تعبنا تانى عشان تستمر، دفعنا تمن الصدف الحلوة بمفاجآت زى الزفت، ودفعنا تمن وجود ناس حلوة عبرت ف حياتنا مقدرنهاش بناس قدرناها ومتمرش فيهم، دفعنا تمن كل حاجة ولسه هندفع، الحياة عادلة جدًّا وميزانها مظبوط، فمتستكترش على نفسك أى حاجة حلوة تحصلك.





فكر قبل الحذف

عمرك سألت نفسك: هل الناس اللى بتحبهم، بتحبهم عشان هما حلوين للدرجة دى، ولا بتحبهم عشان ملقتش غيرهم فى طريقك؟

مفهمتنيش.. يعنى هل هما اصحابك لمجرد ان الظروف جمعتك بيهم، ولا انت اخترتهم بكامل إرادتك وانت عارف ومتأكد إنك لو قابلتهم فى ظروف وأوقات مختلفة كنت هتصاحبهم برضه؟

طب هل انت زى ما انت عشان الظروف اللى انت عايش فيها، ولا لو الظروف اختلفت مش هتبقى انت خالص؟

يعنى انت إزاى حكمت على نفسك انك محترم، وانت حاطط حواليك كل القيود اللى تخليك محترم، انت محترم أول ما تتحط فى كل الأجواء المنحلة وتثبت انك فعلاً محترم، وانت صادق مش عشان بتقول الحقيقة.. انت صادق لما اخترت تقول الحقيقة وكانت فرصتك أحلى كتير فى الكدب!.



والصاحب إزاى حكمت عليه انه صاحب لمجرد انه بيروح معاك السينما أو بيشاركك القعدة فى الفود كورت.. أى حد ممكن يعمل كده، الصاحب يبقى صاحب أول ما يكون هو أول رقم ييجى فى دماغك أول ما تقع فى مشكلة.. الصاحب هو اللى هيقرر إنه يتورط معاك فى المصيبة لحد ما تخرجوا منها سُلام.. أو ما تخرجوش!

والوحدة مش هى اللى تحس بيها وانت فى كافيه بتقرا كتاب، أو فى مشيك الصبح وانت بتسمع مزيكا عالية فى ودنك، الوحدة مش قعدتك على البحر وانت بتتفرج على الناس، الوحدة مش إنك تبقى لوحدك، الوحدة هى إنك تبقى لوحدك وسط الناس، الوحدة انك تبقى ساكت فى دوشتهم، ومدووش ف عز ما همّا ساكتين، الوحدة انك تسحب نفسك ببساطة من عالمهم للعالم بتاعك انت، إحساسك انك فى مكان وهمّا فى مكان تانى خالص!

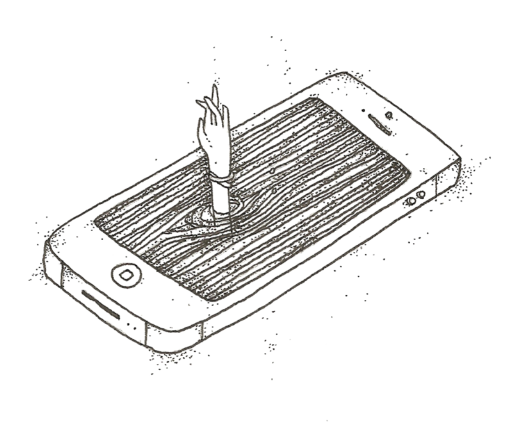
والغربة مش إنك تعيش وسط ناس متعرفهمش، الغربة مش إنك تروح حفلة متعرفش فيها حد، الغربة مش إنك تقابل ناس جديدة فتاخد جنب، الغربة هى إنك تكتشف ان الناس اللى ضيعت سنينك بقربهم.. انت لسه معرفتهمش، الغربة هى كلامك مع ناس دلوقتى بطراطيف كلام بعد ما كانت ساعات الرغى بينكو ما بتخلصش، الغربة انك متعرفش تداوى اللى انكسر بينك وبينهم فلا قدرتو تبقوا قريبين ولا عرفتو تبقوا بُعاد!

والخوف مش انك تخاف على أى حاجة تحصلك، الخوف انك تخاف من خوفك اللى خُفته على أى حاجة تحصلك. والشجاعة مش إنك تفكر فى قرار رغم مخاوفك، الشجاعة إنك تكون فى نص الطريق بتحارب مخاوفك. والندم عمره ما كان إنك تندم على حاجة انت عملتها.. الندم اتعمل عشان تندم على كل حاجة ماعملتهاش!

والافتقاد مش انك تفتقد حد ميت مش هتشوفه تاني، الافتقاد هو إنك تفتقد حد عايش لسه الفرص موجودة تشوفه وتقابله بس علاقاتكم هى اللى ماتت. والاحتياج مش إنك تبقى محتاج حاجة عشان تبقى كويس، الاحتياج ان يبقى معاك كل حاجة بس ناقصك الحاجة دى عشان تبقى كويس، والاستغناء عمره ما كان معناه انك تستغنى عن حاجة مش معاك، الاستغناء هو ترفعك وزهدك عن حاجة فى إيدك وملكك وانت اللى مش عايزها!

وسط توهانا احنا، ووسط توهان الحاجات، ووسط توهانا احنا وسط الحاجات، محتاجين نرجع نفصص كل حاجة، نشوف كل حاجة زى ما هىَّ، ولأن الحاجات شبه بعض.. ومش هنعرف نفرق بين أكياس الشاى والنعناع والكركديه.. فمحتاجين ندلق عليهم ميه مغلية، ساعتها.. يمكن.. يمكن نشوف لونهم الحقيقى!





عندما أرسلت لي تلك الطفلة : انقذني

كان صباحاً هادئاً وأنا أتصفح رسائل الإنبوكس على موقع فيسبوك مع مج النسكافيه كعادتى اليومية، حتى وجدت رسالة قصيرة تنتظرنى من طفلة عمرها ١٠ سنوات، تقول نصًّا: «مصطفى، أرجوك قولّى ازاى اقدر اتخلص من ذكرياتى اللى معكننة حياتى ومخليانى مش عارفه انام!».

هنا عملت زيك بالظبط وتنَّحت، دخلت على بروفايلها الشخصى أتأكد من هويتها، هى فعلاً طفلة بالصف الرابع الابتدائى ولابسة المريلة اهه، فكتبت أسألها بكل براءة: «ذكريات إيه يا حبيبتى اللى مش قادرة تنسيها.. تسلخات البامبرز؟».

صدقنى لم أكن أقصد أبداً السخرية منها ومن مشاعرها، ولكن ماذا تكون ذكريات واحدة في السن دة

قتلنى الفضول فى الحقيقة لكى أعرف ذكرياتها ومأساتها قبل أن تغلق الطفلة حسابها وأغلب الظن أنها سافرت تستجم وتعيد ترتيب أوراقها



قبل أن تتخذ قرارات مصيرية تقلب حياتها رأساً على عقب.

عندما كنت فى سنها، كان قرارى المصيرى وقتها انى أطلّع المضاف إليه من قطعة النحو، يوم أن حولت من مدرس عربى لمدرس آخر كان قرار عيلة، كانت حيرتى فى الربع جنيه المخروم اللى طلعلى فى كيس قلبظ همًّا بالنسبة لى.. يا ترى أصرفه دلوقتى ولا أخليه مع مصروف بكرة، الفلسلفة فى حياتى انى أفكر يا ترى وانا باكل الشيبسى انا بس اللى سامع صوت القرمشة ولا اللى حواليا هما كمان سامعين!!

كانت الصياعة تتجلى فى أن ألبس الكاب بالشقلوب وألبس البلوفر بالعكس، وكانت الروشنة وقتها انك تروح لحد تقوله: قول شاكوش.. بس قول شاكوش.. شعرك منكوش..

الطفل قليل الأدب أيامنا السافل المنحط الوقح.. هو اللى كان بيقول للتانى: هديك بوكس اخليك صابونة لوكس..

بالمناسبة أكتب هذا المقال وتجلس بجوارى فى الكافيه فتاة.. لا فتاة إيه حتة عيّلة مفعوصة لم تكمل الـ١٢ سنة بتشيش جنبى بشراهة.. وأنا أتذكر أننى يوم ما صِعْت فى سنها شربت زبادى خلاط ومضمضت بقى وأنا مروّح، فى أحد الأفراح دققت بوجه طفلة أعرفها وسألتها: إيه اللى انتى مهبباه فى وشك ده؟ شكلك حاجة واربعين سنة.. أبو شكلك، فردت

بكل ألاطة: دى آى لاينر.. كنت أود فى لحظتها أن أخبرها عن مصير بنت فى اعدادى وضعت زبدة كاكاو من ورا أهلها ولم تر الشارع إلا فى الثانوى، ولكنها أكملت: عيبكو كده.. إنتو الرجالة يعنى.. بتحكموا ع البنت من شكلها.. ما فائدة عذرية الجسد إذا كان الفكر عاهراً؟ يا نهارك منيل.. عذرية الجسد؟.. ده انا قعدت لحد تالته اعدادى فاكر ان الناس بتخلف بعض بالبوس!!

يا الله! كيف تحولت الطفولة الجميلة بهمومها البريئة لهذا الكم من التشوه، وكيف تحول الأطفال فجأة لعيال كبار دون أن يعيشوا كل لحظات الهبل والسذاجة والبراءة التى لا يبقى من شقاء العمر سواها فترة مفرحة، يكفينا أننا لم نكن نحمل فى أنفسنا إحباط الأمس وهمّ اليوم وغموض بكرة، لو يعلم هؤلاء الأطفال أنهم يسرعون شريط حياتهم ليعيشوا مرحلة تعيسة ستأتى آجلاً، لندموا على استعجالهم وقضوا أوقاتهم بكل تفاهة ممكنة.

إن أجيالاً لم تلعب «الأولى» والسيجا والسبع طوبات وحبست خيالها فى الآى باد والبلايستيشن، وتحول رغيهم وفشرهم لشات الفيسبوك والواتس اب، فكتبوا أكثر مما تكلموا، وصمتوا بدلا من أن يملأوا الدنيا ضجيجاً، ولم يعيشوا قصص حب النظرات من بعيد لبعيد، هى أجيال بائسة بلا شك !.

أمى العزيزة، تتهميننى أنا وجيلي، جيل العشرينات بأننا جيل جاحد ومش متربي، تحكين لى دوماً أنك كنت تخافين أمك من مجرد نظرتها لك وأننا



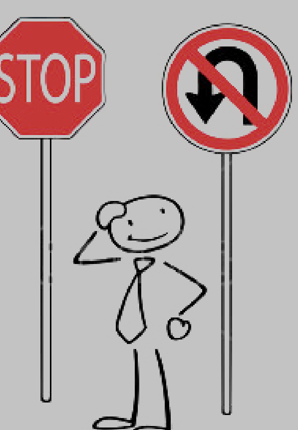
جيل مابيختشيش، عندك حق.. انتو أسرة كانت تتجمع ثلاث مرات على السفرة.. أجيال ما يسمى بالدفء الأسري، ونحن أجيال لا ندفأ إلا بالوايرلس، كنتو أسرة كاملة لديكم تليفون واحد أما الآن فاصبحنا نحن الخمسة لدينا ١٢ خط تليفون.. هنكلم بعض إمتى؟

إنتو جيل العزومات واحنا جيل يعيش على سندوتشات يفتحها أكثر من مرة ليتأكد أن ما نأكله فراخ أو لحمة لأن كمية الصوصات أفسدت طعمه، إنتو جيل كانت أكبر مشاكلكم «ساكن فى حى السيدة وحبيبى ساكن فى الحسين» ونحن مشكلتنا.. خارج انا وحبيبتى، أجيب فلوس المينمم شارج منين؟، إنتو جيل الوسادة الخالية ونحن جيل عمر وسلمى، إنتو جيل الزرارين.. الأخضر بيفتح والأحمر بيقفل، واحنا جيل تتوقف راحة باله وأمنه واستقراره وسعادته على مدى شحن بطارية تليفونه، إنتو جيل الإحساس نعمة، واحنا جيل نعمة فيه مصاحبه اتنين فى نفس الوقت!

أمى.. إنتى محظوظة انتى وكل جيلك، فرغم كل ما تعانونه منا، فنحن بالنسبة للأجيال القادمة ملايكة بأجنحة بيضاء، أما نحن، فنحن البؤساء التعساء سيئو الحظ اللى هندبس فى تربيتهم، ولا أخفى عليكِ سرًّا.. مش متأكد.. مش متأكد خالص يعني.. مين اللى هيربى التانى فينا..؟

مين زار بروفايلك؟

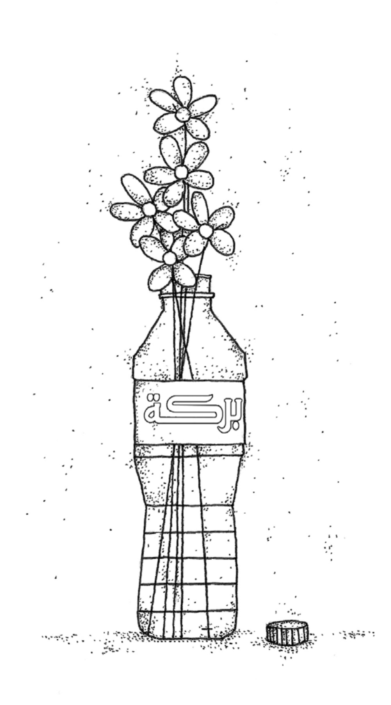
كان عندك طول الوقت فضول تعرف مين اللى زار بروفايلك على الفيس بوك من خلال تطبيقات أغلبها كان فيروس ومصيدة لفضولك، بس الغريب ان نفس فضولك ده مودكش لأبعد من كده، مفكرتش فى تطبيق يكون حقيقى وواقعى أكتر من مين اللى زار بروفايلك، تطبيق فى حياتنا يخلينا نعرف مين حبك وساكت، ومين حبك واتكسف يقولك، مين مهتم بيك ونفسه يصارحك باهتمامه بس خايف من رد فعلك، ومين انت مزعله ونفسك تصالحه بس خايف يكسفك، ومين انت زعلان منه ونفسك يقولك بس انا آسف عشان تتلكك وترجع تكلمه، مين كان مفروض تقوله شكرًا بس الدنيا خدتك؟ مين كان نفسك تقولّه: «على فكرة عندك حق.. أنا كنت غلطان» بس كرامتك نقحت عليك، مين كان فى ضيقة وكان نفسه يسمع منك كلمة معلش لأنها هتفرق معاه، ومين خاف يطلب منك حاجة ومطلبهاش لإنه خاف انك تخذله!



إنت دلوقتى مدان لحاجتين، أول حاجة انك سكتّ، والحاجة التانية انك فضلت طول الفترة دى ساكت.

اتعود فى الحياة دى، إنك حتدفع تمن اللى انت مقلتوش أكتر من اللى انت قلته، وان الحياة أقصر مما تتخيل، وان فرصتك فى إنك تقول للى بتحبه انك بتحبه، وتعتذر للى عايز تعتذر له متاحة دلوقتى قبل ما تختفى خالص.

صدقنى فيه مشاعر كتير فايتاك، أول ما هتعرفها هتكتشف ساعتها انها كانت أهم بكتير من فكرة مين اللى زار بروفايلك.



المصرى بيتصرف

لو كل واحد فينا دوَّر عنده فى حياته ومالقاش حاجة يفتخر بيها، لازم على الأقل يفتخر إنه مصرى.. الأب الروحى لمبدأ «الحاجة أم الاختراع».

إعادة التدوير هو علم بيقوم على تحويل المخلفات والحاجات اللى بتترمي، لمنتجات تانية ممكن يستفيد منها الإنسان، ولان المصرى بطبيعته مخترع، كان رائد فى علم إعادة التدوير، يمكن مخدش فرصته فى المحافل الدولية، بس خدها فى البيوت المصرية، لو بصيت بصة كده عندك فى البيت، هتلاقينا اخترعنا من كل حاجة.. حاجة تانية خالص.

أزايز الحاجة الساقعة قلبناها أزايز ميه وحطيناها فى التلاجة، علبة الشيكولاته لما خلصت حطينا فيها إبر وبكرات خياطة ومسامير ومفكات، والكراتين بنحط فيها الكراكيب..



علب السمنة عملناها قصارى للزرع، وعلب السجاير الفاضية بنعملها طفاية، وكبايات الجبنة بتختلف، الصغيرة بنعمل فيها شاي، والكبيرة بنشرب فيها ميه..

بطرمانات المربى والعسل، بنخلل فيها زيتون وخيار.. أو بنحط فيها السكر والشاي، وأزايز الزيت بنحط فيها الجاز، وأكياس السوبر ماركت بنعملها أكياس زبالة، حتى شنط الهدايا، بنحتفظ بيها عشان ندى فيها هدايا لناس تانيه بيحتفظوا بيها برضه عشان يدوها لناس تالتة.

إحنا الشعب الوحيد اللى بيستخدم الجرايد فى كل حاجة إلا القراية، بيفرش عليها الأكل، بيلمع بيها الإزاز، بيلف بيها السندوتشات، بيغطى بيها الجثث، حتى الكراريس لما بتخلص ما بنرميهاش، بنطلع عليها بطاطس..

إحنا الشعب الوحيد اللى لما ازازة الشامبو بتخلص بيملاها ميه عشان ما تخلصش، وبيعض على البطارية بسنانه عشان يطول فى عمرها..

إحنا الشعب اللى مابيرميش المنديل لما بيستخدمه، بيحطه فى جيبه تانى يمكن يحتاجه، ولو هيرميه.. يمسح بيه الجزمة الأول!.

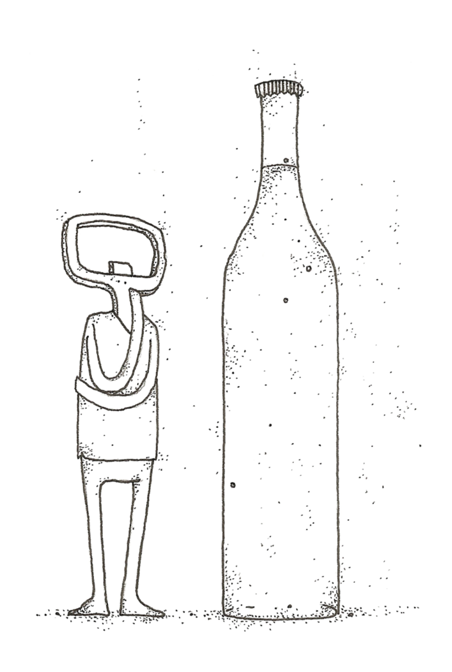
إحنا الشعب اللى ما بيرميش الفاكهة اللى قربت تبوظ وبيعملها عصير، ومابيرميش غياراته الداخلية القديمة لانه بيشيل بيها الحاجات السخنة فى المطبخ (إنت متخيل القرف!!)، أما هدومه نفسها فبيستخدمها لمهمة أرقى.. بيمسح بيها أرضية البيت، أو بيستعملها اكياس للمخدات!.

إحنا الشعب اللى الشورت عنده كان أصله بنطلون اتهلك، وهدوم البيت كانت هدوم خروج بس قدمت، وأكل القطط والفراخ بيبقى بواقى الغدا، ولب السهرة بيبقى لب البطيخ اللى بنحمصه ما بنرميهوش..

إحنا الشعب اللى لما بيفشكل خطوبته بيحتفظ بالهدايا يديها لخطيبته اللى بعد كده، وبيتجوز مراته الجديدة بنفس عفش مراته القديمة، وهدوم عياله بيورثوها من الكبير للصغير..

إحنا أكتر شعب عنده بياعين روبابيكيا، مع إننا أكتر شعب معندوش حاجة تترمى!





١٠ فروق بينك وبينها

١– الولد لو بنت خانته بيكره كل البنات، إنما البنت لو راجل خانها.. فبتكره كل البنات برضه!

٢– الولد بيغلط فى اسم حبيبته كل مرة بإسم، والبنت بتغلط فى أسامي الرجالة كلهم بإسم حبيبها!

٣– الولد مصدر فخره فى الحياة كام بنت ارتبط بيها، ومصدر فخر البنت فى الحياة كام ولد فكستله.

٤– الولد والبنت لما بيرتبطوا، هو بيحس انه لقى حد مناسب يشاركه أيامه، وهى بتحس انها انتصرت على كل بنات العالم.

٥– بعد الفراق، البنت بتتعب الأول وبعدين تنسى، أما الولد فبينسى الأول وبعدين يتعب!



٦- البنت لو عرفت ان اخوها بيحب بتقف جنبه عشان تنجّح قصة حبه، أما الولد لو عرف ان اخته بتحب فبيطين عيشتها.

٧- الولد لما يكتب فى آخر الرسالة: أنا مش مستنى رد منك بيبقى فعلا مش مستنى رد، إنما لو بنت كتبت: مش مستنية منك رد، فهى بتقولك: لو سمحت أرجوك أتوسل إليك رد!

٨- البنت عندها مية سبب تتمسك بالحب، والولد عنده مية سبب يخلع منه.

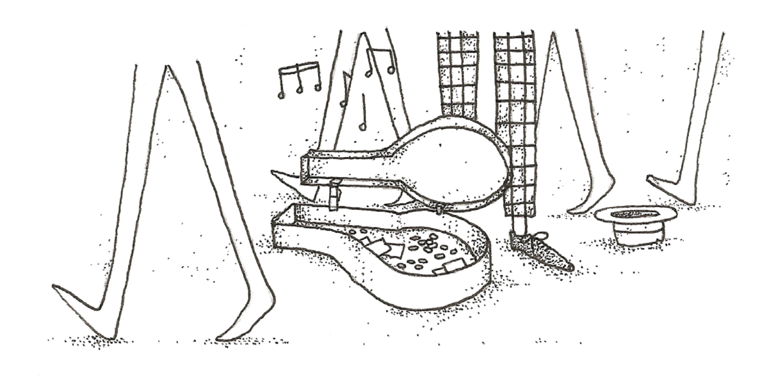
٩ - مفيش راجل مش خاين، فيه راجل لسة منكشفتش خيانته، ومفيش بنت مابتعرفش خيانة راجل ليها، فيه بنت بتعمل عبيطة.

١٠- الراجل بيقول الحقيقة طول ماهو مش لاقي كدبة مقنعة، والبنت بتكدب طول ماهى عارفة ان الحقيقة مش مقنعة!

التوصيلة

توصيلة البنت اللى بتحبها عمرها ما كانت تقضية واجب، آخر لحظة فى اللقا زى آخر نفس ف السيجارة، زى آخر حتة شوكلاته، زى آخر بق من فنجان قهوة، بتحاول تعصر اللحظة تطلع منها كل حاجة حلوة قبل ما تخلص، مسكة إيديها وانت بتعدى الشارع، مشيك ناحية العربيات وانتو ع الطريق، رجلك اللى بتقدم خطوة وتتأخر اتنين وانت بتحاول تتكّى على الزمن يقف، آخر سلام، وآخر مشاورة بالإيد، آخر «خد بالك على نفسك» و«لما توصل كلمنى»، اللحظة اللى بتختفوا فيها تدريجيًّا عن نظر بعض، وهى ذات اللحظة اللى بتكتشف ان الأوقات الحلوة ما بتكتشفش انها كانت حلوة الا لما تخلص!





الشحاتة موهبة مش حدف مناديل

بفرنسا استوقف شاب أنيق صديقى وزوجته فى أحد الشوارع، وقال له بمنتهى الأدب: اعذرنى عن وقاحتى فى هذا السؤال.. ولكن هل تحبها؟ هل تحب رفيقتك؟، ارتبك صديقى فجأة وقبل ان يسيء الظن بهذا الشاب ويلكمه مسبباً له عاهة مستديمة بغشومية المصريين المعهودة، قطع عليه الشاب تفكيره وأكمل: هل تسمح لى أن أرسم لك لوحة تهديها لها لتتذكرا معاً تلك الليلة الرائعة وتدفع لى أىَّ مقابل بشرط أن تعجبك الرسمة؟!

الصدمة جعلت صديقى يوافق ويخوض التجربة حتى يرى نهايتها، وكانت نهايتها رائعه بالفعل، إذ حصل في بضع دقائق على لوحة فنية لا تقل جمالاً عن لوحات أمهر رسامى العالم لدرجة أنه يحتفظ بها فى صالة بيته إلى الآن.

إن طلب المساعدة واكتساب الرزق لم يكن أبداً شيئاً مهيناً للنفس مادام يقابله شيء يسعدك حتى لو كان بسيطاً ورمزيًّا، عند برج إيفل يصطف



راقصو الباليه بكل أناقة يقدمون لك الرقصات والاستعراضات وعلى بعد أمتار منهم ستجد من يرقصون رقصات ليدى جاجا ومادونا، وتكتظ شوارع أمريكا بالمشردين الذين يقيمون حفلات الخدع والسحر للمارة سواء كانوا بمفردهم أو يشاركهم فى تلك العروض بعض الحيوانات المدربة مثل الكلاب والقطط والعصافير وغيرها، وفى إسبانيا سيوقفك أحدهم بمنتصف الشارع لترقص معه على نغمات الصالصا، وفى اسطنبول ستجد بعض الشباب ارتدى ملابس تنكرية لشخصيات عامة وتاريخية يحب الناس أن يلتقطوا الصور معهم، حتى المتسولون العاديون الذين لم يملكوا أى قدرات فنية للتسول قرروا طلب المساعدة بخفة دم، رأيت صورة لأحد المشردين وقف بلافتة كتب عليها «النينجا قتلوا أولادى.. أريد أموالاً من أجل أن أتعلم الكونغ فو» ورأيت عجوزاً لطيفاً كتب على لافتة يحملها: «لست من هنا.. أنا كائن فضائى وسفينتى تحطمت أريد أموالاً من أجل قطع الغيار لأغادر كوكبكم الملعون». وأضحكتنى كثيراً تلك السيدة التى كتبت لافتة تتندر على حالها وتسخر من وضعها «لا أطلب منك مساعدة.. أنا أسعى لتكبير ثديى هذا ما فى الأمر»، كل ذلك ولا يطلب منك أحدهم أى مقابل، ولا يستعطفك، بل يجبرك أن تقدم له مساعدة بنفس طيبة، إن استمتعت بما يقدمه فهو سعيد لذلك، أما إذا قررت أن تساعده فهو لا يمد يده لك ولن يمدها ليستدر عطفك أو يظهر منكسراً لينال شفقتك.. هو يضع علبة صغيرة يستقبل فيها مساعدتك دون أى إهانة!

هنا – فى مصر يعني – ثلاث سنوات وأنا أمر على محل بيتزا هت بالتحرير وأجد صبياً أطول منّى يجلس متكئاً على زجاج المطعم مادًّا يده للمارة، ناظراً ببؤس للعالم مصطنعاً البكاء الشديد كأنه الناجى الوحيد من أسرة يهودية أحرقها هتلر أمام عينيه وتركه حيًّا فقط لكى يتذكرهم ويتعذب.. ثلاث سنوات يا مؤمن تزوجت فيها ناس وخلفت وربما ماتت وهو مازال يبكى على مصيبة كونية حلت به وحده دون البشر.. منافساً الفنان مرهف الحس مصطفى كامل فى عدد سنين الحزن، الفرق بس ان الأستاذ مصطفى أصلاً مولود حزين كدهه لوحده!

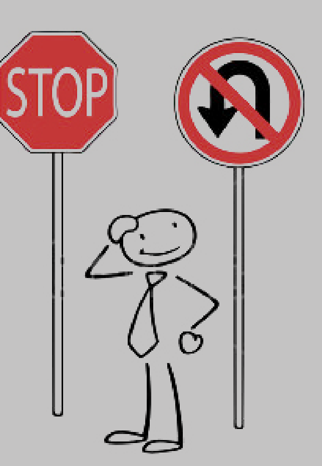
وسنوات أخرى من عمرى والأطفال النازحون من ربوع مصر؛ مازالوا على أطراف محطات المترو ونواصى الشوارع يفترشون علب المناديل مصطنعين الجدية التامة غير عابئين بنظراتك لأنهم مشغولون بعمل الواجب المدرسى الذى لا ينتهى ليلاً ونهاراً ولا حتى فى وقت المدرسة اللى مابيروحهاش.. مش مهم نروح المدرسة المهم نعمل الواجب، أما فى الشارع ف يوقفك أحدهم بمنتهى اللطف وأول ما ما يقولك: «لو سمحت..» فتكمل له انت الأسطوانة.. إنت مش من هنا وعايز فلوس عشان تروّح صح؟.. لا؛ خليك هنا منورنا احنا زى أهلك برضه، وسنوات وسنوات وأنا أقابل تلك السيدة المنقبة بعربات المترو على جميع الخطوط وهى حاملة لأشعة طبية غير واضحة المعالم وتصرخ: «والله يا اخوانى أنا ما بكدب عليكو.. جوزى



بقاله ١٤ سنة فى العناية المركزة» لدرجة أننى أخبرتها مرة انها تلم فلوس على تكفينه أسهل بما إنها لمت تمن مستشفى ولسه مخفّش!

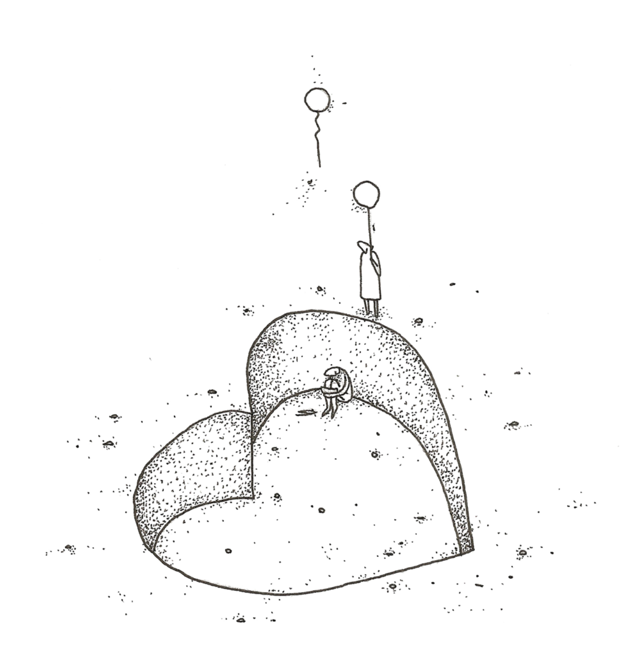
الناس بتحب تريّح دماغها، ذلك هو قانون الدنيا الثانى بعد قانون الجاذبية، يرمى عليك المتوسل علبة مناديل أو لبان أو أذكار دينية من غير نفس وانت تردهاله برضه من غير نفس، ويدعو لك المحتاج الذى يفترش مداخل الشوارع والمطاعم والمولات بنفس دعواته من سنين دون تغيير، وانت تطنشه من سنين أيضاً دون تغيير برضه، فالغباء أن تفعل الشيء مرتين وتنتظر نتيجة مختلفة.. معروفة يعنى ومهروسة على الفيسبوك،مفيش ابتكار.. هل تتخيل أن يقطع طريقك محتاج صارخاً: يا رب تخبط فى صافيناز وانت ماشي، أو: يارب يا آنسة تروّحى تلاقى حسن الرداد عندكو فى البيت، يا رب تروح تصيف تلاقى سارة سلامة فى البلاج اللى جنبك، يا رب وانت بتحاسب على كتاب فى المكتبه تلاقى أحمد مراد واقف جنبك ويقولك: والله لانت مخلي، كلها دعوات خيالية ولن تتحقق كما لم تتحقق أى دعوات منهم سابقاً.. ولكنها محاولة لتبديل الموقف.. خد انت الفلوس وشحتنى الأمل!

مي: كنت بتمنى الموت كتير، لحد ما مات أعز اصحابى فجأة باللوكيما ف الدم، رحلته من الحياة للموت كانت أربع أيام مقامش منهم من على السرير، مكنتش متخيل أبدا ان صاحبى اللى كنت بتمشى معاه وبضحك، انا ماشى معاه دلوقتى وشايله فى قماشة بيضا رايح ادفنه.



لما فقت من الانهيار العصبى، ارتجفت، سألت نفسى: طب لو انا مت دلوقتى.. إيه اللى انا عملته فى حياتى عشان اتكافئ عليه فى النهاية؟ اكتشفت انه ولا حاجة.. اكتشفت انى كنت مستعجل الموت وانا معنديش أى استعداد ليه.. ساعتها دعيت ربنا يطول فى عمرى عشان اعمل حاجة.. يدينى فرصة تانية بس اصلح بيها اللى فات.. تسألنى: ها وعملت حاجة؟ اقولك: لا.. بس بطلت اتمنى الموت.





البنت اللى ف تانية تالت

أنا واحد من الجيل الذى حضر الحب بالنظرات، كان غرامى بها لا يوصف، تلك الفتاة الفاتنة الكائنة بفصل تانية تالت والتى كنت بسببها أحقد على كل أصدقائى الأوغاد الذين واعدهم الحظ وكانوا زملاءها بنفس الفصل بينما أنا محدوف زى الكلب فى تانية خامس!

أخرج كل يوم من بيتى فى كامل أناقتى، الجزمة متلمعة، القميص مكوى، شعرى على جنب متسرح شعراية شعراية.. فأنا سأقابلها فى طابور الصباح، يظل قلبى قبل عينى معلقاً عليها بين كتيبة فصلها المصطفة تمارس تمارين الصباح اليومية السخيفة ومن بعدها الإذاعة المدرسية.. أحاول أن أثبت لها أنها فتاة محظوظة تحب شخصاً مميزاً فأخرج من الطابور لكى أحيى العلم والعيون كلها تلاحقنى كنجم سينما يوم افتتاح فيلمه، فأصرخ «تحيا جمهورية مصر العربية» محاولاً تمييز صوتها من بين كل المئات الذين يرددون ورائى وأعود لها فى الطابور كبطل يمتطى جواده بعد غزوة حصد فيها رءوساً بما يكفى، والعكس.. كان اليوم الذى لا ألمحها فيه فى طابور



المدرسة أفهم تلقائياً أنها غابت وبالتالى يصبح اليوم كئيباً وكأن الشمس اعتذرت عن عدم الشروق ذلك اليوم وقررت «تأجز» هى الأخرى!

ما بين الطابور والفسحة، كنت أشعر أن الأربع حصص أربع سنوات تمرّ على سجين فى سجن انفرادى بمعتقل جوانتنامو، كنت حرفياً أزق الوقت لكى أراها، وإن كان ذلك لا يمنع أن أحاول أن أسرق لحظات من السعادة وأشاهدها بين الحصص، يضرب جرس كل حصة فأخرج أنا وتخرج هى لنتقابل فى طرقة الدور، أكاد بالعافية ألمحها من بعيد قبل أن يداهمنا حضرة الصول.. أقصد مدرس الحصة المقبلة ويستأنف الحبس، ولكن كان الله يعلم وهى تعلم بالشوق الذى يدغدغ مشاعرى، ينفحنى الله ببركته فيلهم بعض الأساتذة أن يرسلونى لأى مشوار فأتلكك وأمرّ من جانب فصلها وأحاول أن ألمحها من الشباك أو باب الفصل المفتوح كمريض يتعلق بنفس اكسجين لكى يتنفس.

فى الفسحة تقف هى مع صديقتها الأنتيم، والتى أصبحت شريكة فى علاقتنا فجأة، تنبهها لوجودى دائماً.. تبتسم لى هى الأخرى ابتسامة أخوية وينشأ بيننا ود وقد أصبحت كاتمة أسرارنا، أنا أيضاً أتحرك بصديقى وقد فهم أن صديقه وقع على عينه وتورط بقصة حب ليس له يد فيها، فأظل أنا وهو نراقبها، هى وصديقتها تستمتعان بتلك المراقبة باتفاق سرى غير

معلن بيننا نحن وهما، نظل نحوم حولهما على بعد مسافة ليست كبيرة وليست صغيرة، مسافة بالكاد تسمح لى أن تظل تحت عينى.. فلم نكن بالقرب الذى يفضحنا ولا نحن بالبعد الذى يقهرنا، كان شعوراً غريباً ممتعاً وأنت تسرق الفرحة بين كل هؤلاء الناس دون أن يضبطك أحد، تنظر لى الفتاة وأنا أكلم صديقى فيزغدنى فجأة قائلا: «الحقْ بتبص عليك» فأنظر لها فوراً، فتهرب بنظراتها لصديقتها حتى أعود لصديقى فتنظر لى مرة أخرى فى خبث، من بين كل تلك النظرات الخاطفة كانت هناك النظرة التى تتواجه فيها أعيننا فى نفس اللحظة، تلك اللحظة المربكة التى تشعر وقتها أن شخصاً أمسكك وأخذ يحركك بكل الاتجاهات بكل عنف حتى وقع قلبك فأمسكه وضغط عليه بكل قوته، ذلك العذاب الممتع المحير، لتأتى بعدها ضحكة كبيرة، وتسبيلة، وغمزة خاطفة ونظرة منها تسألنى «هو انا حلوة النهارده؟»..

ظللت سنة دراسية كاملة أراقبها وتراقبنى، أطاردها وتطاردنى، قررت أن أتجرأ وأخبرها أننى أحبها، الحقيقة لم أكن أعرف هل هذا فعلاً هو الحب أم لا، كنت من جيل برىء، الحب بالنسبة له هو انكجة البطل والبطلة ع البحر وبوستهم آخر الفيلم..

لم أكن أتخيل يوماً أننى سأكتب جواب عاطفى، ولم أتخيل أيضاً كيف



سيكون رد فعلها ولكنى شعرت أننى لابد أن أتخذ القرار، قررت أن أبتلع كل حبوب الشجاعة وأكلمها فى التليفون أخبرها هكذا مباشرة «بقولك ايه يا سارة أنا بحبك»، عن طريق صديق لى يعمل والده بسنترال استطعت أن أحصل على رقمها بأعجوبة من بين دفاتر كل ساكنى المنطقة، خفت أن أكلمها من تليفون منزلنا خوفاً من أى مشاكل قد تحدث.. فماذا لو كان لديهم تليفون متطور من ذلك النوع الذى يظهر رقم الطالب.. حتماً ستقع قصة حبنا فى كارثة، لو أهلها عرفوا ستدب مشادة بينهم وبين أهلى ربما تتطور لمشاجرة، ربما لمجزرة بين العائلتين فتقع الضحايا وتتناثر الجثث ويكتب لنا القدر الهروب أنا وهى والتخفى لسنوات بعيدة صامدين محافظين على قصة حبنا تلك.. هكذا رأيت فى الأفلام، طب وعلى إيه ده كله، ظللت حارماً نفسى من متعة صرف المصروف فى الفسحة لمدة أسبوعين حتى اشتريت كارت ميناتل فئة الخمسة جنيهات، ووقفت أمام الكابينة ملتقطاً السماعة السلكية وأنا أجرى بروفات للمكالمة «الو.. سارة.. ايوة يا سارة أنا مصطفى.. انا بحبك يا سارة».. وقتها ستنهار المسكينة وتصرخ فى العالم كله «وانا كمان بعشقك».. كان قلبى يقفز بصدرى ككرة بنج بونج طائشة، أحاول أن أتمالك نفسى وأضرب الرقم، كانت يدى ترتعش وهى تضغط على آخر رقم، وجاء صوت الجرس يدغدغ أعماقى حتى اختفى فجأة وسمعت «ألو» انتظرت صامتاً دون رد حتى أكمل الطرف الآخر «ألو..» لم يكن صوتها بل صوت أمها وفجأة

اختفت هرمونات البطولة.. ارتبكت وأغلقت الخط فورا فى صدمة لم تكن أبدا محسوبة، وقفت ألتفت يميناً ويساراً أشعر أن كل الناس تراقبنى وتعرف الجريمة التى ارتكبتها فلم يكن رد فعلى إلا أننى ظللت أجرى لبيتنا واختبأت بغرفتى، محضرا بذاكرتى كل السيناريوهات التى ستثبت براءتى حينما يواجهوننى بتلك الفعلة السوداء الخسيسة.

بعدها اعترفت لنفسى أننى لست شجاعاً بما يكفى لكى أواجهها بنفسى، فقررت أن أكتب لها جواباً على صفحة بيضاء عطرتها جيداً:

«حبيبتى سارة»،

تقريباً ده جواب زى الجوابات اللى الناس لما بتحب بعض بيبعتوه لبعض.. أنا أول مرة أعمل كده ومعرفش بيكتبوا فيه ايه.. ومعرفش فى اللحظة اللى أنا فيها دى اقول.. بصراحة يا سارة أنا متلخبط جداً.. حاسس انى عايز اقولك حاجات كتير أوى بس مش عارف اقول منهم حاجة.. عارفة لما بتبقى مذاكرة اوى وقدامك ورقة الامتحان ومش فاكرة حاجة.. اهو أنا حاسس بكده، أنا كتبت كلام كتير وشطبته، وجوابات قبل ده وقطعتها.. لأنى كتبت فيها كلام مش برضه اللى أنا اقصده.. أنا بكره المدرسة اوى يا سارة.. بكره كل حاجة فيها.. بس كل ما افتكر انى لما



اروحها هشوفك بحبها.. أنا بفكر فيكى ف البيت.. وببقى سرحان فيكى وانا ف الدروس.. وبكتب اسمك فى كل الكتب والكشاكيل طول منا بحل الواجب.. ده لو حليته ومفضلتش سرحان فيكى.. وانا آسف انى بشطب عليه بعد كده عشان بخاف حد يشوفه فيعرف انى بحبك.. وبشطب كمان على رسمتك.. ما انا ساعات بقعد ارسمك.. آه والله.. مع انى مبعرفش ارسم.. كل مرة ارسمك بحس انك احلى كتير من اللى انا برسمه.. ساعات بقول لنفسى لو معايا صورة ليكى هبقى مش عايز حاجة تانية من الدنيا.. أصل انا رغم انى بشوفك كل يوم بحس كل مرة ان شكلك بيتغير.. بتحلوى كده.. لدرجة ان انا مبقاش مصدق انك بتحبينى انا..

صحيح يا سارة هو انتى بتحبينى؟.. يعنى انتى بتعملى زيى.. أصل أانا كل ما اسمع أغنية رومانسية بحسها عليكى.. حتى لو كانت حزينة بتخيل انى سيبتك وسبتينى ومش عارف ليه اشمعنى انتى بالذات.. تفتكرى يا سارة هو ده الحب؟

ملحوظة: يا ريت متتكلميش مع ولاد فى الدرس عشان شفت ولد بعد درس الدراسات واقف معاكى بياخد منك حاجة وفضلت طول اليوم مضايق.

مـ)) .

هكذا مضيت بأول حرف من اسمى وواثق انها أكيد هتعرفنى، ماهى أكيد حاسة بيّا ومفيش غيرى بيقعد يبصلها كده، وانا أكيد مش هكتب اسمى عشان لو الجواب اتقفش مروحش ف داهية، أو لو هى اتجننت وقالت انى بعتلها جواب فساعتها اقول لأ مش انا، فانتهيت من الجواب وتقمصت دور رأفت الهجان وحاولت توصيل الجواب دون أن يظهر انه جواب، فوضعته بين صفحات كشكول وقررت أن أصارحها بذلك السر الذى يكتم على أنفاسى، ولكن دخلت فى دوامة أخرى، هل من الذوق أن أرسل لها الجواب كده؟ ساده يعنى كده.. البنت تقول عليا ايه؟! أليس من الرومانسية أن أرسل لها هدية تعبر عنى وعن ذوقى وعن حبى لها؟ ذهبت لأقرب محل هدايا وطلبت منه أن يسجل لى شريط كاسيت كوكتيل.. ويسموه ولاد الطبقة الارستقراطية شريط كولكشن وهو شريط فاضى اشتريته ووضعت به قائمة لأغانى رومانسية سهرت طول الليل احضر فيها واعيد وازيد فى ترتيبها وكأنى اهدى لها كلمات كل تلك الاغانى وانا كلى خوف وقلق.. هل ستعجبها تلك الاغانى ام لا.. ماذا سيكون انطباعها عن ذوقى؟ هل سيعجبها أم أنها تحب مطربين آخرين غير هؤلاء الذين أحبهم فترفض ذوقى وترفضنى للأبد!

حاولت من قبل أن ألتحق بمجموعات دروسها ولكن لم يكن لى مكان، فحفظت مواعيد دروسها، وظللت أراقبها فى الدخول والخروج وفى يدى



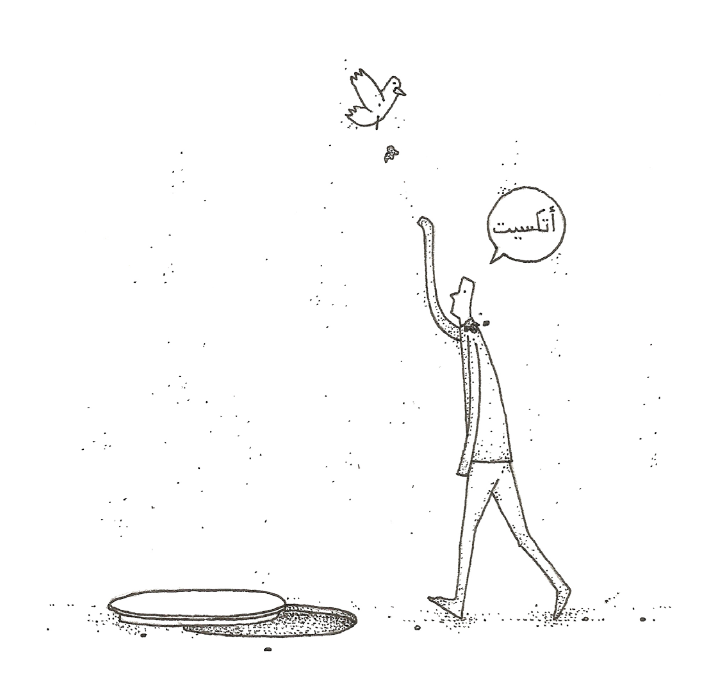
الكشكول، ولكن كل مرة كانت تخذلنى الشجاعة فأنسحب، حتى يوم قررت أن أضع الكشكشول فى الديسك فى مكانها فى الفصل، تسحبت للمدرسة مبكراً بما إنى من الشرطة المدرسية، وتركت لها الكشكول بمكانها حتى تأتى وتتفاجأ به ولكنى تراجعت أيضاً خوفاً من أن يلتقطه أحد غيرها فأسبب لها مزيداً من المشاكل.

كان آخر يوم بالامتحانات يوماً شاقاً جداً على نفسى.. كنت متعمداً ألا تغيب لحظة عن عينى.. فلا أعلم هشوفها تانى ازاى، أما فى الأجازة نفسها فقد كان الشوق قد بلغ ذروته، فقررت أن أتمشى تحت بيتهم أنا وصديقى الذى لا يفهم لماذا نمر بهذا الشارع للمرة الثامنة والسبعين خلال ساعة.. كان الشارع حيوياً وضاجًّا بصوت البشر إلا عند منزلها تستطيع تحديداً أن تتعلم المعنى الحرفى لصمت القبور.. عرفت بعدها عن طريق الصدفة أنها هاجرت مع أهلها للسعودية.. فانتهت الحدوتة للأبد..

تذكرت تلك التفاصيل وأنا أراها صدفة فى هايبر ماركت من أيام، رأيتها ولم ترنى.. كالعادة يعنى، كانت تقف فى طابور طويل عند ثلاجة الجبن.. اختلفت ملامحها كثيراً بعد الحجاب وبعدما طالتها الكثير من السمنة ولكنها ظلت كما هى زى القمر.. شعرت بنفس النغزة فى قلبى اللى كانت تصيبنى كلما رأيتها.. أدركت وقتها انى لسه عيل.. وان لسه قلبى

صاحى، قررت فى تلك اللحظة وبكل همجية ودون أى حسابات أن أختلق صدفة وأن أخبرها بأنها أجمل وأنقى قصة حب عشتها وسأعيشها على الإطلاق.. ستتذكرنى بالتأكيد.. وحتى لو لم تتذكرنى.. مش مهم، المهم أننى أصبحت شجاعاً هذه المرة عن كل المرات الفائتة.. صحيح ان الوقت متأخر.. بل متأخر جداً.. ولكن أن تأتى متأخراً أفضل من ألا تأتى أبداً.. اتجهت خطوتين باتجاهها.. ولكنها فجأة انحنت على عجلة أطفال بجانبها وحملت طفلاً تلاعبه، فغيرت مسار خطواتى.. اتجه لطريق آخر.. وأنا مبتسم.. أمسك موبايلى وأتخيل للحظة لو كان بيننا الواتساب ساعتها فاختصر كل تلك المسافات ولم أبذل كل ذلك التعب فى إخبارها بـ «بحبك» التى لم أقلها أصلاً!، ولو كان وقتها فيس بوك فأرى صورتها عندما توحشنى ولا أشعر بالذل الذى عشته وأنا أراقبها فى المدرسة والدروس وتحت بيتها لكى أكتشف تفاصيل جديدة فى جمالها لم أكتشفها المرة السابقة..، فجأة انتعشت بكل روائح الذكريات والأماكن والأغانى التى هبت عليَّ فجأة.. شعرت أننى أعود فى لحظة لذلك الطفل البريء.. ذلك الطفل الذى لم يدرك أن ما فى الحياة أصعب بكثير من حب البنت اللى فى تانية تالت.





المصريين أهمّا

شاءت الظروف أن أشارك بمنتدى شبابى يضم ممثلين عن العديد من بلاد العالم، كان هدف المنتدى أن يثبت أن العالم فعلاً قرية صغيرة وأنه آن الأوان للشعوب من الشرق للغرب أن تتعارف أكثر، ليس من خلال شاشات السينما والأغانى ووسائل الاتصال الاجتماعى فقط بل أن تتواجه وجهاً لوجه، وبدون مقدمات.. طلب مدير المنتدى قبل فعاليات المؤتمر – بكل لطف – أن يقوم كل شاب ليتحدث فى غضون ٣ دقائق عن بلده وشعبه وثقافته.

للوهلة الأولى شعرت بالورطة، كيف سألخص حياتى فى ٣ دقائق فقط، ولكنى سريعاً ما استدركت الموقف وتذكرت أن هذا الموقف مر عليَّ كثيراً بمواضيع التعبير السخيفة من تالتة ابتدائى لتالتة ثانوى.. بسيطة يعنى.. المصرى هو ابن الحضارة الفرعونية.. حضارة السبع تلاف سنة.. حارس النيل.. مشيد الأهرامات.. حامى الثقافة والتراث.. الأصيل العريق، كان الموضوع سهلاً ولكنى خشيت أن أرتبك وقت الجد، فأخرجت ورقة صغيرة أدون فيها بعض التفاصيل.



وفجأة خاننى القلم، ووجدت هرمون الصراحة الحقير ينقح عليَّ، وقلت بما أن هدف المؤتمر أن نتعرف فعلاً فلماذا لا أكون صريحاً مع هؤلاء، فهم لا يعرفوننى ولا أنا أعرفهم ومن المستحيل أن نلتقى مرة أخرى.. لماذا أكذب؟.. نحن أولاً وأخيراً فى منتدى شبابى لطيف وليس فى اجتماع للأمم المتحدة.. لماذا لا أتكلم بصراحة عننا فعلاً بدون أى تحوير أو تذويق ولو مرة واحدة؟.. وبدأت أكتب..

المصرى.. المصرى كائن رياضى بالفطرة، يمارس الجرى يومياً وهو يطارد كلاب الشوارع بالطوب، وينط الحواجز من خلال ماكينات المترو وهو مزوغ، اتعلم الرماية وهو بيرمى الزبالة من المواصلات، والمصرى مثقف بطبعه.. اتعلم الإبداع اللغوى وهو بيحاول يخترع جملة جديدة يعاكس بيها بنت، واتعلم الحساب أول ما بدأ يضرب عدد العيال ف الدرس واللى بيدفعوه عشان يعرف دخل المدرس كام ف الشهر، وهو اللى عاش طفولته كلها يفكر الأكل اللى بيتعمل فى برامج الطبخ بيروح فين لما الحلقة تخلص؟

المصرى هو اللى بيعيش كل الأفلام ف حياته، بيعيش الرعب فى كل قطة تخضه وهى بتقابله على السلم، وبيعيش الأكشن وهو بيولع كبريت جنب جلدة الأنبوبة بعد ما ركبها.. فلو ما فرقعتش ف وشه وانفجرت

تبقى الجلدة سليمة الحمد لله، وبيعيش السسبنس لما بيدخل يكتب على الفيسبوك «البقاء الله» والناس كلها تعزيه وتسأله مين اللى مات؟ وهو ميردش، وبيعيش الرومانسية مع كل واحدة قابلته ف الأسانسير وقالتله: «مساء الخير».. ويفضل يحلم بيها يومين.. لحد ما يقابل واحدة تانية ف نفس الأسانسير تدغدغ مشاعره أكتر وتحطم قلبه وهى بتسأله: «حضرتك نازل ولا طالع؟».

المصرى هو اللى بيسقى الأسفلت عشان الطراوة وبيلعب كورة ع الزرع، وهو اللى مؤمن ان العمل عبادة بس ما بيشتغلش عشان الأعمال بالنيات، المصرى هو اللى اقتنع بإن مفيش فايدة زى ما قال سعد زغلول وعمره ما صدق ان لا يأس مع الحياة زى ما قال مصطفى كامل، اللى بيؤمن وهو معاه فلوس ان «اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب» وأول ما يفلس يؤمن بإن القرش الابيض بينفع فى اليوم الاسود، هو اللى مقتنع ان المصايب لما تحصلّه بيبقى عشان «المؤمن مصاب» بس لما تحصل لغيره بتبقى «من أعمالكم سلط عليكم»!، هو اللى بتشتكيله فيزايد عليك ف الشكوى، ولو قلتله مانمتش من يومين هيقولك مانمتش من أسبوع، ولو قتله انا زعلان هيقولك انا مكتئب، فتخرس خالص فيلومك انك ما بتحكيش!

المصرى هو اللى بيقول على السواق باشمهندس وبيقول للصيدلى يا شبح، وهو اللى عايز يتجوز واحدة شقية بس هادية، متفتحة بس متدينة، عمرها



ما عرفت ولاد مع إنها بتكلمه، هو اللى بيحب شعر صاحبته وحجاب اخته، اللى نفسه يتجوز عن قصة حب بس يجوز اخته صالونات.

المصرى هو اللى بيشكك ف شرف ممثلة عشان بتتباس، بس لو شافها بيجرى يتصور معاها، وهو اللى بيشتكى من ان كيلو اللحمة بـ ١٠٠ جنيه بس بياكل سندوتش حواوشى بجنيه ومصدق انه لحمة، هو اللى بيخاف من كلمة عيب أكتر من حرام، عشان بيخاف من الدنيا أكتر من الآخرة.. المصرى هو اللى..

كانت نغزة زميلى تقاطعنى وتنبهنى بأنه حان دورى، رفعت رأسى فوجدت مدير المنتدى يشاور لى بأن أتجه للمنصة لإلقاء كلمتى.. فتحركت وعيون كل الحاضرين ترقبنى وتترقب ما سأقوله.. اعتليت المنصة أخيراً ووجهت الورقة أمامى ثم نظرت لها ثانيتين وطبقتها لا إراديًّا بقبضة يدى ثم وجهت فمى مباشرة للميكروفون وقلت: «المصرى.. المصرى هو ابن الحضارة الفرعونية.. حضارة السبع تلاف سنة.. حارس النيل.. مشيد الأهرامات.. حامى الثقافة والتراث.. الأصيل العريق».